في زمن العجايب

رواية

"زمن السوشيال ميديا الزائف"

معتز هيثم كرم

(1)

دمعة واحدة.. دمعة واحدة بس كفاية عشان عداد المشاهدات يضرب في السما.

كنت باصص لعدسة التصوير كأنها عيون الملايين اللي مستنيين الوجبة اليومية بتاعتهم من الشحتة العاطفية. كشاف الإضاءة الهادية كان متوجه بعناية عشان يرمي ضل خفيف على نص وشي، يدي انطباع بالحزن، بالعمق، وبشيلة هموم الدنيا. عيني كانت متثبتة على الشاشة الصغيرة اللي بتعرض النص المكتوب، مع إني كنت حافظه صم، أو بالأصح، كنت حاسس باللحظة اللي لازم صوتي يتهز فيها بالظبط.

إحنا فقدنا إنسانيتنا.. إزاي قدرنا نغمض عينينا عن مأساة زي "دي؟ إزاي بننام وضميرنا مرتاح؟"

سكت ثانيتين بالظبط. السكوت قدام الشاشة بيترجم فوراً لـ "تأثر شديد". رمشت بالراحة، وسمحت للدمعة اللي كنت حابسها في عيني اليمين إنها تنزل ببطء على خدي. بصيت للعدسة بنظرة انكسار أخيرة، ومديت إيدي وقفت التسجيل.

"أفصل التصوير.. كفاية على كده."

بمسحة سريعة من ظهر إيدي مسحت الدمعة، وملامح وشي اتغيرت مية وثمانين درجة في كسر من الثانية، كأن حد شال الفيشة. قمت من على الكرسي وأنا بفك زرار القميص اللي كان خانقني.

إيه رأيك يا حازم؟ المشهد الأخير ده هيجيب كام مشاركة؟" قلتها " وأنا بلف ناحية حازم، فني تركيب الفيديوهات والجندي المجهول اللي قاعد ورا شاشتين بيراقب كل تفصيلة.

حازم شال سماعة الودن وبصلي ببرود: "أداء سينمائي كالعادة. بس الإضاءة الخلفية كانت لاسعة شوية، خلت النور يضرب في أطراف شعرك بزيادة. لو كنا وطيناها كانت الحالة الدرامية هتبقى أعمق."

ابتسمت بسخرية: "يا سيدي فكك من نظريات الجامعة دي. الجمهور مابيفهمش في الإضاءة الأساسية ونور الضل. الجمهور بياكل بقلبه. الدمعة دي مع شوية مزيكا حزينة في الخلفية على شريط التعديل، وهتلاقي المقطع ده راكب الموجة وبقى حديث الناس قبل نص الليل."

قعدت على كرسي المكتب الجلد وفتحت تليفوني. مواقع التواصل كانت مقلوبة على قصة عيلة بسيطة اتعرضت لظلم، القصة اللي أنا لسه باكي عليها من ثواني. الحقيقة؟ أنا ماعرفش أساميهم أصلاً، ولا مهتم أعرف. في مدرجات الجامعة علمونا ميثاق الشرف الإعلامي، والموضوعية، ورسالة الكلمة.. كلام جميل جداً يتكتب في الكتب ونمتحن فيه ونجيب امتياز، بس أول ما تخبط في سوق العمل

بتكتشف إن كل ده ملوش لازمة. التمن الحقيقي بيندفع في استغلال المشاعر، في الغضب المحسوب، وفي الحزن المعلب.

حازم كان بدأ يسحب ملف التصوير على برنامج التعديل. عينه متثبتة على الشاشة وإيده بتتحرك بسرعة على لوحة المفاتيح: "هظبطلك الألوان تميل للأزرق البارد شوية، ده بيدي إيحاء بالكآبة والتعاطف.. أما بالنسبة للصورة المصغرة بتاعة الغلاف، هحط صورتك وأنت بتعيط مع عنوان مستفز يثير الفضول زي ما اتفقنا".

بالظبط كده.. 'رسالة أخيرة قبل ما أفقد الأمل في البشرية'.. " عنوان فخ ومحترف هيخلي اللي بيقلب في الشاشة يقف غصب عنه ويدوس عشان يتفرج." قلتها وأنا بشرب بق من قهوتي الباردة.

بصيت لانعكاس وشي في شاشة التليفون الضلمة. شاب وسيم، لسانه حلو، بيعرف يوزن الكلام، وبقى في ظرف شهور قليلة أيقونة للحق والفضيلة على الشبكة. الناس بتثق فيا أكتر ما بتثق في عينيها. لو قلتلهم إن الشمس بتطلع من الغرب، هيعملوا مشاركة ويكتبوا "صدقت".

صوت إشعار من صندوق الرسايل قطع تفكيري. فتحته، كانت رسالة من وكالة إعلانات كبيرة. عرض رعاية خيالي لمنتج تخسيس أنا شخصياً عارف إنه مضر وممكن يدمر الصحة، بس الرقم المكتوب في العقد كان كفيل ينسيني أي حاجة تانية.

حازم.." ندهت عليه من غير ما أبص له، عيني كانت لسه متثبتة "
.على الأصفار اللي في العقد

"أيوة؟"

جهز نفسك، المقطع الجاي مش دراما. المقطع الجاي هيكون عن "
العادات الصحية اليومية، وإزاي الواحد يحافظ على رشاقته وسط
".ضغوطات الحياة

حازم وقف شغل وبصلي باستغراب: "أنت بتهزر؟ إحنا لسه بنعيط
على الناس الغلابة، هننزل بعدها بيومين إعلان تخسيس؟ دي
"!ازدواجية مفضوحة أوي

ضحكت بصوت عالي لحد ما القهوة كادت تشرقني: "يا ابني افهم،
ذاكرة السمك اللي عند المتابعين هي راس مالنا. هما بيحبوا يعيطوا
النهاردة، وبكرة هيدوروا على حاجة تانية تلهيهم. زرار التسجيل ده
سحر.. طول ما اللمبة الحمرا منورة، أنا اللي بشكل وعيهم كأنه حتة
".صلصال

قمت وقفت قدام المراية الطويلة اللي في المكتب، ظبطت ياقة
القميص، وابتسمت ابتسامتي التجارية المشهورة. الكدبة كبرت،
كبرت لدرجة إني بقيت بصدقها أحياناً. لكن في اللحظات اللي زي
دي، وسط ريحة القهوة وبرودة التكييف، كنت عارف الحقيقة المرة.

أنا مجرد تاجر، ببيع الوهم في أكياس بتلمع، والمشكلة الوحيدة.. إن البضاعة دي بتتباع أسرع من أي حاجة تانية في زمن العجايب

الزمن بيرجع لورا تلات سنين. كنت لسه طالب في كلية الإعلام، بمشي في ساحة الجامعة وأنا شايل في شنطتي أحلام وزنها يهد جبال. كنت مصدق بجد إن الكلمة ليها نور، وإن المحتوى النظيف هو اللي بيكسب في النهاية. كنت بقعد بالساعات أكتب وأشطب، لحد ما خلصت قصة درامية كاملة من خمسة وعشرين فصل، حطيت فيها كل طاقتي وكل حرف اتعلمته عن صراع المبادئ والواقع، وكنت متخيل إن بمجرد ما أنشر أول جزء منها، الدنيا هتتقلب والناس هتقدر الفن الحقيقي.

سجلت أول مقطع ليا، وقفت قدام العدسة وأنا لابس قميص مكوي ومسرح شعري، وبدأت أتكلم بلغة عربية سليمة عن الفن، عن الثقافة، وعن رسالة الشباب في المجتمع. حطيت المقطع على شبكات التواصل، وقعدت جنب الشاشة مستني المجد.

عدت ساعة.. ساعتين.. يوم كامل.

الحصيلة؟ تسع مشاهدات، وتلات إعجابات، منهم إعجاب من والدتي، وإعجاب أنا اللي عملته لنفسي بالغلط.

في نفس اليوم ده، شفت مقطع لواحد بيصور نفسه وهو بياكل طبقين كشري في تحدي غريب وبيصرخ بصوت عالي، المقطع ده كان جايب اتنين مليون مشاهدة في أقل من أربع وعشرين ساعة.

حسيت وقتها إن في حاجة مكسورة، مش فيا، لكن في ميزان العالم نفسه. إزاي التعب والسهر والتفكير ما يساووش حاجة قصاد تفاهة بتتعمل في خمس دقايق؟

فضلت شهرين بحاول. بكتب نصوص محترمة، بصور مقاطع متعوب عليها، بحاول أقدم قيمة، والنتيجة دايماً واحدة: تجاهل تام. كأني بكلم نفسي في أوضة ضلمة ومقفولة. الإحباط بدأ ياكل في روحي، وقررت إني هرفع الراية البيضا وهقفل حساباتي كلها.

لكن في ليلة، وأنا قاعد مقهور، قررت أعمل تجربة أخيرة. تجربة عشان أثبت لنفسي إن العيب مش فيا، العيب في "حسبة المواقع" دي، في النظام اللي بيمشي الناس زي القطيع.

مسكت التليفون بتاعي، من غير ما أرتب أي كلام ولا أكتب أي ورق. كعبلت شعري بإيدي عشان أبين إني متوتر، وفتحت الكاميرا الأمامية، وبدأت أزعق وأنفعل بزيادة على موضوع تافه جداً كان هو "حديث الناس" والموجة اللي طالعة اليومين دول: خناقة بين اتنين مشاهير على الشبكات.

عملت نفسي متأثر جداً، وبدأت أهاجم طرف وأدافع عن التاني بكلمات رنانة ومصطلحات شعبية بتسخن المشاعر. كنت بمثل، بمثل بوقاحة وبدون أي ذرة إيمان بكلمة واحدة من اللي بقولها. خلصت تصوير، وكتبت عنوان مستفز كله حروف كبيرة وعلامات تعجب:

"رسالة نارية.. الحقيقة اللي بيحاولوا يخفوها عنكم!" ودوست نشر، ونمت.

الصبح، صحيت على صوت التليفون وهو بيرعش في إيدي من كتر الإشعارات.

فتحت الشاشة، وعيني برقت. الأرقام كانت بتجري قدامي زي العداد المجنون. خمسين ألف مشاهدة.. مية ألف.. ألفين تعليق.. آلاف المشاركات. الناس كانت بتتخانق في التعليقات، ناس بتشتم، وناس بتأيدني بحرارة وتعتبرني البطل اللي قال كلمة الحق.

فضلت باصص للشاشة ومذهول. المقطع التافه، اللي متصور في أوضة مكركبة، واللي مفيهوش ريحة المجهود، خلى اسمي يلف البلد كلها في ليلة واحدة. في اللحظة دي، حسيت بلسعة باردة في قلبي. اللحظة اللي أدركت فيها شفرة اللعبة. الناس مش عايزة تفكر، الناس عايزة تحس. مش مهم الإحساس ده حقيقي ولا مزيف، المهم تديهم الجرعة اللي بتخدرهم أو بتسخنهم.

تاني يوم، جالي رسالة من شاب في سني، كاتبلي فيها: "أنا بشتغل في تعديل المقاطع وتركيب الصور، شفت المقطع بتاعك وعجبني طريقتك، بس الصورة محتاجة شغل عشان تبان احترافية وتجيب أرقام أضعاف دي.. إيه رأيك نشتغل سوا؟"

الشاب ده كان حازم.

ومن هنا، رميت كل الورق اللي كتبته، قفلت درج مكتبي على المبادئ والمثاليات اللي اتعلمتها، وقررت إني مش هقف قدام الموجة تاني.. أنا هبقى الموجة نفسها

أوضة التصوير بتاعتنا مابقتش مجرد مكان بنسجل فيه كلمتين، دي بقت عاملة زي المصنع. مصنع شغال أربعة وعشرين ساعة عشان ينتج حاجة واحدة بس: "المثالية المضروبة".

حازم كان قاعد ورا شاشاته، إيده بتطير على لوحة المفاتيح كأنه بيعزف مقطوعة موسيقية. الشاب ده كان عبقري بجد، قعد سنين يشقى على منصات العمل الحر، يصمم شعارات ويظبط صور ويجمع مشاهد بملاليم، وتعب كتير عشان يثبت نفسه ومحدش كان حاسس بيه. لحد ما لقينا بعض؛ هو المخ اللي بيطبخ الفكرة وبيصمم الغلاف اللي يخطف العين، وأنا الوش الملاك واللسان الحلو اللي بيقدم الطبخة دي للناس في صينية دهب.

خلصت الورق يا حازم ولا لسه؟" سألته وأنا بقلب في التليفون، " بتابع أرقام الفلوس اللي بتزيد في حسابي بعد آخر حملة إعلانات.

حازم مرفعش عينه من على الشاشة ورد بتركيز: "دقيقة واحدة.. بظبطلك الجملة اللي هتقفل بيها المقطع. لازم تكون جملة بتوجع، تخلي المتابع يحس بالذنب وبتأنيب الضمير لو معملش مشاركة للمنشور عشان غيره يشوفه".

ضحكت وهزيت راسي: "يا سيدي على الشغل العالي. طيب، إيه الموجة اللي هنركبها النهاردة؟"

سحب حازم ورقة من الطابعة اللي جنبه ورماها على المكتب قدامي: "النهاردة هنلعب على وتر عقوق الوالدين والمظاهر الكدابة. قصة عن شاب ساب أهله في قرية بسيطة عشان يعيش دور الغني في المدينة، وبيستعر منهم قدام أصحابه. قصة بتتباع دايماً، والناس بتعشق تلعب دور القاضي اللي بيحاكم الجلاد."

مسكت الورق وبدأت أقرا بصوت عالي، بختبر نبرة صوتي: "يا خسارة التربية.. يا خسارة كل قرش وتعب أب شقيان وأم سهرت الليالي، عشان في الآخر ابنهم يستعر من هدومهم البسيطة قدام صحابه في المطاعم الغالية..."

وقفت قراية وبصيت لحازم وأنا رافع حاجب واحد: "إنت بتجيب الكلام اللي بيوجع ده منين يا ابني؟ كلام يخلي الحجر ينطق!"

لف الكرسي بتاعه وبصلي بابتسامة باهتة: "من وجع الناس الحقيقي يا صاحبي. أنا بدخل أقرأ مشاكلهم، شكاويهم، وبشوف إيه أكتر حاجة بتخليهم يغلو من جواهم.. باخد الوجع ده، أنضفه، وأغلفهولك في نص مثالي عشان تطلع تبيعه ليهم تاني. إنت بتديهم الإحساس إن الدنيا لسه بخير طول ما في حد زيك بيتكلم بصوتهم."

سندت ضهري لورا وأنا ببص للورقة كأنها كنز: "الخطة إيه في "التقطيع والتصوير؟

بص يا سيدي.." حازم قام وقف وبدأ يشرح بحماس المخرج اللي " لقى البطل بتاعه: "أول تلات ثواني من المقطع لازم تبدأ بصدمة، هتبص للعدسة بحدة وتقول "إنت إزاي قادر تبص لنفسك في المراية؟". الجملة دي هتخطف أي حد بيقلب في الشبكات. بعدين تنزل بنبرة صوتك للدرجة الهادية الحزينة وتحكي القصة.. وفي آخر عشرين ثانية، ترمي الموعظة بتاعتك وأنت باصص للأرض كأنك حزين على حال الدنيا، وأنا هدخل بموسيقى مؤثرة بتعلى بالتدريج ".لحد ما الشاشة تسود

سقفت بإيدي مرتين وأنا بضحك من قلبي: "يا ابن اللعيبة! الخلطة السحرية للانتشار والوصول للملايين. إحنا لو فتحنا عيادة لغسيل ".المخ هنكسب أكتر من الدكاترة

قمت من مكاني ورحت وقفت في نص الأوضة. حازم ظبط كشافات النور، خلى الإضاءة دافية عشان تدي وشي لمحة طيبة وحكمة. وقفت قدام العدسة، وخدت نفس عميق. في اللحظة دي، الشاب الطماع اللي بيدور على الفلوس والإعلانات بيختفي تماماً، وبيحضر مكانه "شيخ الطريقة"، المصلح الاجتماعي، الحكيم اللي مفيش زيه .اتنين

لبست القناع، تقمصت الدور، وبصيت لعين العدسة.

"جاهز يا بطل؟" حازم سأل وهو إيده على زرار التسجيل.

"أنا دايماً جاهز.. دوس".

اللمبة الحمرا نورت، وبدأت المسرحية الجديدة. العجيب في الموضوع مش إننا بنمثل عليهم، العجيب إن في وسط المقطع، وأنا بحكي عن عقوق الوالدين والضمير، دمعة نزلت من عيني بجد. أنا نفسي اتأثرت بالكلام اللي بمثله. ساعتها عرفت إن أخطر أنواع الكدب، هو الكدب اللي بتتقنه لدرجة إنك شخصياً بتصدقه وإنت بتقوله

(2)

الرقم المكتوب على الورقة كان كفيل ينسيني اسمي، وينسيني كل المبادئ اللي قريتها في كتب مدرجات الكلية.

كنت قاعد على كرسي المكتب، ماسك عقد الرعاية بين إيديا، وببص للأصفار اللي جنب بعضها كأنها طلاسم سحرية. المندوب بتاع وكالة الإعلانات كان قاعد قصادي، لابس بدلة غالية، وحاطط رجل على رجل، وبيبصلي بابتسامة صفرا، ابتسامة التاجر اللي عارف إنه اصطاد فريسته خلاص.

زي ما اتفقنا يا أستاذ.." المندوب اتكلم بصوت هادي وواثق، "
"الشركة هتدفعلك نص المبلغ ده بمجرد ما تمضي العقد، والنص
التاني بعد ما المقطع بتاع الإعلان ينزل ويحقق الأرقام المطلوبة.
المنتج عبارة عن خلطة أعشاب للتخسيس، مش محتاجين منك غير
إنك تطلع في مقطع من مقاطعك المؤثرة، وتتكلم عن إزاي الصحة
نعمة، وإزاي لازم نحافظ عليها، وفي النص كده، ترفع العلبة دي
".وتقول إنها السر ورا نشاطك وحيويتك

حط العلبة على المكتب قدامي. علبة شكلها رخيص، مكتوب عليها
كلام بالخط العريض عن حرق الدهون في تلات أيام. أنا شخصياً لو
حد اداني العلبة دي ببلاش مستحيل أدخلها بيتي، فما بالك إني أقنع
ملايين الناس إنهم يشتروها ويدخلوها جسمهم؟

بصيت لحازم اللي كان واقف ورايا، مربع إيده وبيبص للعلبة بقرف.
حازم كان عارف، وأنا كنت عارف، إن المنتج ده مضروب، وممكن
.يعمل مشاكل صحية لأي حد يجربه

سكت شوية، وبعدين رديت على المندوب بلهجة فيها تردد مصطنع:
"بس المنتج ده.. يعني.. مفيش عليه أي تصريح طبي واضح. أنا
الناس بتثق فيا، بتعتبرني أخوهم الكبير، لو حد حصله حاجة بسببي،
".اسمي هيتدمر

المندوب ضحك ضحكة خفيفة وميل بجسمه لقدام: "يا سيدي ومين قال إننا بنبيع دواء؟ ده مجرد مكمل غذائي. وبعدين، الناس بتنسى. لو لا قدر الله حد اشتكى، هننزل بيان إن دي حالة نادرة، وإنت تطلع في مقطع تعيط وتتأسف وتقول إنك اتخدعت زييك زيهم، وهما هيسامحوك.. الناس بتحب البطل اللي بيعترف بغلطه أكتر من البطل المعصوم من الغلط. إمضي العقد، وخلينا نكبر سوا".

مسكت القلم. القلم كان تقيل في إيدي كأنه حتة رصاص. في اللحظة دي، شريط طويل عدى قدام عيني؛ أيام ما كنت بشقى عشان حد يسمعني، الفلوس القليلة، الخوف من بكرة. بصيت للرقم تاني. الرقم ده هيغير حياتي، هيخليني أنقل من الشقة الإيجار، هيركبني عربية محترمة، هيعملي كيان.

حطيت سن القلم على الورقة، ومضيت.

المندوب خد العقد، باركلي، ومشي. أول ما باب الأوضة اتقفل، حازم انفجر.

إنت مدرك إنت عملت إيه؟" حازم قالها وهو بيضرب كف على " كف، وعينه بتطق شرار. "إحنا كنا متفقين إننا هنبيع كلام.. هنلعب بمشاعر الناس، ماشي.. هنألف قصص ونركب الموجة، شغال.. إنما نبيع لهم سم؟ نبيع لهم منتج إحنا عارفين إنه ممكن يأذيهم في صحتهم؟ دي خيانة للثقة اللي إحنا نفسنا بنيناها!"

قمت من مكاني، مسكت علبة الأعشاب، وبدأت أقلبها في إيدي ببرود: "ثقة إيه يا حازم؟ إنت مصدق الكدبة اللي إحنا ألفناها؟ الناس دي بتدور على حد يمشيهم وراه. لو مش أنا اللي بعتلهم الوهم ده، غيري هيبيعهولهم. الشركات دي بتكسب ملايين، وإحنا بناخد الفتات. الرقم اللي مضيت عليه النهاردة هيخلينا نطور معداتنا، ونعمل محتوى يوصل لعدد أكبر".

حازم قرب مني، وشه كان محتقن: "محتوى إيه؟ محتوى عشان نلم زباين أكتر للشركات النصابة؟ إنت مش شايف التناقض؟ إمبارح كنت بتبكي قدام العدسة عشان طفل يتيم، والنهاردة هتقف تضحك للناس وتقولهم اشربوا البتاع ده عشان تخسوا؟ إنت إزاي هتبص لنفسك في المراية؟"

رميت العلبة على المكتب، ورفعت صوتي لأول مرة: "هبص لنفسي في المراية وأنا مرتاح يا حازم! عارف ليه؟ لأني مش هكون محتاج أستلف عشان أدفع إيجار الأوضة دي. لأني عرفت قواعد اللعبة في الزمن ده. مفيش حاجة اسمها مبادئ بتدفع فواتير. في حاجة اسمها فرصة، والفرصة جاتلي لحد عندي، ومش هرفسها برجلي عشان شوية شعارات فارغة".

سكتنا إحنا الاتنين. الجو في الأوضة بقى مكتوم. حازم بصلي بنظرة خذلان، نظرة حسيت إنها بتخترقني. سحب كرسي وقعد ورا شاشاته من غير ما ينطق ولا كلمة، وبدأ يجهز ملفات التصوير الجديدة.

في اللحظة دي، عرفت إن في حاجة انكسرت بيني وبين حازم، وحاجة انكسرت جوايا أنا كمان. أنا عديت الخط الأحمر، الخط اللي مفيش رجوع من بعده. بقيت رسمياً بياع، والزبون هو جمهوري، والسلعة هي ثقتهم العميا فيا.

ابتسمت بمرارة، وسحبت الورق اللي فيه النص بتاع الإعلان، وبدأت أراجع الكلمات المكتوبة، وأنا بجهز نفسي لـ "البيعة الأولى" في زمن العجايب

بعد إعلان أعشاب التخسيس المضروبة بيومين، بدأت الريحة تطلع. كنت قاعد بشرب قهوتي وبقلب في التعليقات على المقطع. أغلب الناس البسيطة كانت بتدعيلي وتمدح فيا كالعادة، بس كان في شوية تعليقات زي السم بدأت تظهر وتزيد وتعمل قلق. "إنت إزاي بتعمل إعلان لمنتج متسجل في وزارة الصحة إنه خطر؟"، "فين مبادئك يا أبو المبادئ؟"، "طلعت بياع كلام زيك زي غيرك وبتدور على القرش".

حسيت بقرصة خفيفة في معدتي. دي أول مرة أشوف هجوم علني بالشكل ده، وأول مرة أحس إن القناع بتاعي ممكن يقع. بصيت

لحازم اللي كان قاعد ورا شاشاته، ملامح وشه كانت مقفولة وفيها علامات شماتة مكتومة.

الإحصائيات بتقول إيه يا حازم؟" سألته وأنا بحاول أخفي توتري " وأبين إني ثابت.

لف الكرسي بتاعه وبصلي: "بتقول إن فقاعة الفضيلة بدأت تتخرم. في حملة بتتكبر بالراحة، والناس بدأت تعمل إشارات لبعض على منشورات بتفضح المنتج وبتحذر منه. لو سكتنا، الموجة دي هتكبر وهتاكل كل رصيدك اللي بنيته، وهتبقى مجرد نصاب تاني على الشبكات".

قمت وقفت وبدأت أروح وأيجي في الأوضة. "طب نعمل إيه؟ نطلع نعتذر ونقول ضحكوا علينا ومكناش نعرف؟ ولا نمسح المقطع خالص ونعمل نفسنا مش واخدين بالنا؟"

حازم ابتسم بسخرية: "لو مسحت المقطع هتبقى بتعترف إنك مذنب وبتداري على بلوة. ولو اعتذرت، الشركات التانية هتخاف تشتغل معاك وهتعتبرك ورقة محروقة. إنت زنقت نفسك في زاوية وحشة أوي، وبعت ثقة الناس رخيص".

مسكت تليفوني بعصبية وبدأت أقلب في الأخبار والصفحات، بدور على أي مخرج، أي مصيبة تانية في البلد تلهي الناس عن مصيبتي. وفجأة.. لقيتها.

خبر عاجل قالب الدنيا بقاله ساعتين. حادثة كبيرة لعامل توصيل طلبات بسيط، خبطته عربية فخمة لواحد غني ومستهتر، وسابه ينزف على الطريق وهرب. الناس كلها بتغلي، والصور مالية كل الصفحات، والكل بيطالب بحق الغلبان والقبض على الجاني.

عيني لمعت وضربات قلبي زادت. دي مش مجرد حادثة، دي طوق النجاة بتاعي. دي الموجة العالية اللي هركبها عشان أغسل بيها كل ذنوبي، وأغطي على أي صوت بيهاجمني.

حازم.. سيبك من الإعلان والتعليقات دلوقتي خالص." قلتها " وصوتي مليان حماس ونشوة.

"في إيه؟"

رميتله التليفون على المكتب: "شايف الحادثة دي؟ دي قضية رأي عام. الناس بتغلي ومحتاجة حد يوجه غضبها ده. محتاجين حد يتكلم بلسانهم، يزعق، يكسر الدنيا، ويبقى هو البطل اللي بيجيب حق المظلوم".

حازم بص للشاشة وبعدين بصلي بذهول كأنه بيشوف عفريت: "إنت عايز تستغل دم الراجل ده عشان تداري على فضيحتك؟ إنت للدرجة دي بقيت متبلد؟"

قربت منه وحطيت إيدي على كتفه بقوة: "أنا هجيبله حقه! هخلي قضيته دي توصل لكل بيت في البلد. بس في المقابل، القضية دي هتنقذني. جهز الإضاءة بسرعة.. مش عايز إضاءة هادية المرة دي، عايز إضاءة حادة، تبرز ملامح الغضب والقهر في وشي. وعايز خلفية ضلمة كئيبة تبين حجم المأساة".

في أقل من نص ساعة، كنت واقف قدام العدسة. المرة دي مكنش في ورق مكتوب بنقرا منه، المرة دي أنا سبت شيطان الكلام يركبني. أول ما اللمبة الحمرا نورت، بدأت أزعق بصوت عالي، عروق رقبتي كانت نافرة، وعيني بتطق شرار. اتكلمت عن الظلم، عن الغلابة اللي بتنداس تحت عجل العربيات الغالية، عن العدل اللي غايب، وعن قهر الرجال.

خبطت على المكتب بإيدي بكل قوتي وأنا بصرخ قدام العدسة: "حق الراجل ده لو مرجعش، إحنا كلنا نستاهل ندفن بالحيا! أنا مش هسكت، ومش هنام، لحد ما اللي عمل كده يتحاسب ويبقى عبرة لمن لا يعتبر!"

خلصت المقطع وأنا بنهج، والعرق مالي وشي. حازم كان باصصلي وهو مصدوم من كمية الانفعال المفتعل اللي قدرت أطلعه في ثانية وكأني ممثل محترف.

انشر المقطع ده فوراً، واعمله ترويج مدفوع بأعلى مبلغ نقدر " عليه، خليه يظهر لكل تليفون في البلد." أمرته وأنا بمسح وشي بمنديل.

في خلال ساعتين، المقطع كان نار في هشيم. ملايين المشاهدات، مئات الآلاف من المشاركات. الناس نسيت الإعلان، نسيت الأعشاب، ونسيت أي حاجة تانية. بقيت أنا "صوت الغلابة"، "ضمير الأمة"، والبطل اللي مبيخافش في الحق لومة لائم. الغضب العام مسح أي أثر للهجوم عليا.

قعدت على كرسيي، فاتح التعليقات الجديدة، وقاعد بقراها بمزاج عالي. "ربنا يبارك فيك ويحفظك"، "إنت الوحيد اللي حاسس بينا ومبتخافش"."، "والله بكيتنا وحسستنا إن الدنيا لسه فيها خير".

رفعت عيني لحازم، اللي كان باصص للشاشات بوش خالي من أي تعبير، كأنه فقد الأمل فيا تماماً.

شفت يا حازم؟" قلتها وأنا ببتسم ابتسامة واسعة، "قلتلك.. ذاكرة " سمك. طول ما إنت بتعرف تعزف على الوتر الحساس، هيفضلوا يرقصوا على مزيكتك، وهينسوا أي حاجة تانية. إحنا في زمن العجايب يا صاحبي، والساحر الشاطر هو اللي بيعرف يوجه عين المتفرج للحته اللي هو عايزها، عشان ميشوفش الخدعة اللي بتتعمل بالإيد التانية

وقفت بالعربية قدام باب الفندق الفخم. الباب اللي بيفتحه عامل لابس بدلة أشيك من اللي كنت بلبسها يوم تخرجي. نزلت، وأول ما رجلي لمست السجادة الحمرا، ومضات العدسات بدأت تضرب في وشي من كل ناحية. صحفيين، ومراسلين لشبكات التواصل، وناس بتزعق باسمي. عشان أقف أتصور معاهم.

دخلت القاعة الرئيسية. ريحة العطور الغالية كانت مالية المكان، بس تحت الريحة دي، لو ركزت شوية، هتشم ريحة تانية خالص.. ريحة طمع وتزييف. دي الحفلة السنوية لأكبر وكالة إعلانات في البلد، المكان اللي بيتجمع فيه كل "مشاهير المنصات"، صناع الوهم، وبياعين الكلام اللي بيمشوا ملايين وراهم زي القطيع.

مشيت وسط الترابيزات، وبدأت أراقب الوشوش. لمحت من بعيد "نورهان".. البنت الرقيقة بتاعة مقاطع التنمية البشرية والمواعظ الأسرية، اللي صوتها واطي وبتبكي وهي بتتكلم عن جبر الخواطر. كانت واقفة بتزعق لعامل النظافة وبتهزأه عشان خبط في فستانها بالغلط، وبتبصله بقرف كأنه حشرة. بس في كسر من الثانية، أول ما شافت عدسة تليفون بتلف ناحيتها، وشها قلب مية وتمانين درجة،

الابتسامة الملاكي اترسمت، وراحت مطبطبة على كتف العامل قدام الكاميرا كأنها بتواسيه وبتجبر بخاطره. مشهد يخلي الواحد يحس بغثيان.

كملت مشي لحد ما خبطت في "عصام".. بتاع مقاطع الخير وتوزيع الفلوس على الغلابة في الشوارع. حضنني بحرارة كأننا إخوات.

يا أهلا ببطل الشاشة، وحش التفاعل والمشاهدات!" عصام قالها " وهو بيغمزلي.

"حبيبي يا عصام، عاش من شافك".

عصام شرب بق من العصير اللي في إيده وقرب مني ووطى صوته: "يا عم الشغلانة بقت متعبة أوي. تكلفتي في المقاطع زادت، والغلابة بقوا بيطمعوا! بقعد بالساعة أتحايل على الراجل المحتاج عشان يعيط ويديني رد الفعل المظبوط قدام العدسة عشان المقطع يضرب، وفي الآخر يطلب فلوس زيادة.. طمع وجشع ملوش آخر!"

ضحكت ضحكة صفرا مكتومة. هزيت راسي وأنا بداري القرف اللي حسيته. الحرامي بيشتكي من طمع المسروق! بس رجعت فكرت في نفسي.. هو أنا أحسن منه في إيه؟ ما أنا لسه مستغل دم راجل غلبان مات في حادثة عشان أغطي على فضيحتي وألم مشاهدات. كلنا في مستنقع واحد، بس بنختلف في نوع الطين اللي بنعجن بيه.

سمعت صوت حد بينده في مكبر الصوت بتاع القاعة عشان التجمع للصورة الجماعية.

اتلمينا كلنا، أكتر من خمسين شخص، كل واحد فينا بيمثل قيمة معينة لجمهوره؛ المصلح الاجتماعي، وبتاع الخير، والبنت المثالية، والشاب المتدين. وقفنا كتف في كتف، وحضنا بعض بابتسامات عريضة بتلمع قدام ومضات الكاميرات، كأننا عشرة عمر وأصحاب من أيام الحضانة. بس الحقيقة، إننا وإحنا حاضنين بعض، كل واحد كان بيحسب التاني بيعمل كام ألف في الشهر، وبيتمنى زوال نعمة اللي جنبه عشان هو اللي ياخد مكانه. كل واحد فينا مخبي سكينة في ضهره، ومستني اللحظة اللي يغرزها في التاني عشان يركب هو الموجة لوحده ويفوز بالرعاة والمعلنين.

رجعت بيتي متأخر. ريحة النفاق كانت ماسكة في هدومي أكتر من ريحة العطر. قلعت البدلة ورميتها على السرير، ووقفت قدام المراية. بصيت لملامحي اللي بقت متعودة ترسم مشاعر مش حقيقية وبتعرف تلون حسب الطلب.

في الأول كنت فاكر إني داخل عالم غريب عني، عالم أنا دخيل عليه ومجرد ضيف خفيف فيه. بس النهاردة، في وسط الحفلة دي، أدركت الحقيقة الكاملة. أنا مش غريب، أنا بقيت واحد منهم. لا.. أنا بقيت المعلم بتاعهم اللي بيحرك خيوط اللعبة

قاعد في مكتبي، حاطط رجل على رجل، وبشرب شاي بالنعناع بمزاج عالي. عيني كانت متثبتة على شاشة التليفون بتابع عداد المشاهدات والمشاركات اللي عمال ينط في السما. مقطع عامل التوصيل اللي عملته امبارح كسر الدنيا، وبقيت أنا حديث البلد وكل البرامج بتتكلم عن "الشاب الشجاع اللي مش بيخاف وبيجيب حق الغلابة".

الباب اتفتح فجأة من غير استئذان. حازم دخل ووشه مخطوف، كأنه شايف عفريت. كان بينهج، ورمى تليفونه على المكتب قدامي وإيده بتترعش.

مصيبة.. إحنا عملنا كارثة يا صاحبي!" حازم قالها بصوت " مخنوق.

اتعدلت في قعدتي وعقدت حواجبي: "في إيه يا ابني؟ مالك داخل سخن كده ليه؟"

حازم حط إيده على راسه وبدأ يمشي في الأوضة رايح جاي: "الصورة والاسم اللي إحنا نشرناهم امبارح في آخر المقطع.. اللي إنت قلت للناس إن ده صاحب العربية الفخمة اللي خبط العامل وهرب".

أيوة، ماله؟ اتقبض عليه؟" سألته ببرود وأنا بشرب بق من "الشاي.

يا ريته كان هو!" حازم صرخ في وشي، "طلع مش هو! ده راجل "صيدلي غلبان في حاله، مجرد تشابه أسماء، وصاحب العربية الحقيقي كان بايعله عربية تانية من سنة بتوكيل ومسجلهاش في المرور. ورق مضروب ومعلومات غلط إحنا أخدناها من صفحات مجهولة ونشرناها من غير ما نتأكد.. إحنا لبسنا الراجل الغلط يا "!بطل

الكوباية كانت هتقع من إيدي. حسيت بلسعة برد مشيت في ضهري. "إنت بتقول إيه؟ طيب ما نوضح للناس ونقول إن فيه غلطة في "الصورة.

حازم ضحك ضحكة قهر وفتح شاشة تليفونه اللي رماه على "المكتب: "نوضح إيه؟ بص كده.. بص إحنا عملنا إيه في الراجل

بصيت على الشاشة. كان بث مباشر لراجل كبير في السن، شعره أبيض، قاعد على رصيف ورا ضهره قزاز متكسر وبضاعة مرمية في الشارع. الراجل كان بيعيط.. بيعيط بجد، مش بيمثل زيي. دموعه كانت بتنزل على تجاعيد وشه وهو بيقول بصوت مكسور: "يا ناس أنا مليش دعوة.. والله ما أنا.. العيال كسروا صيدليتي، شقاي وتعب عمري كله راح في لحظة.. ولادي مش قادرين يروحوا المدارس

من الشتايم والتهديدات اللي بتجيلنا. أنا بيتي اتخرب بسبب منشور كداب".

فضلت باصص للشاشة ومبرق. دي أول مرة أشوف نتيجة اللعبة بتاعتي على أرض الواقع. ده مش رقم على شاشة، ده إنسان من لحم ودم، بيته اتخرب، وسمعته اتدمرت، وعياله مرعوبين، وكل ده بسبب كلمة مني، بسبب رغبتي إني أركب الموجة وأبان البطل اللي بيجيب التايهة.

حسيت بغصة في حلقي، كأن في حجر سد نفسي. قلبي دق بسرعة، وضميري اللي كنت منيمه في غيبوبة، صحي فجأة وضربني قلم على وشي.

لازم نطلع في مقطع حي دلوقتي حالا،" حازم قالها وهو بيشدني " من دراعي، "نطلع نعتذر، نكذب نفسنا، ونقول للناس يسيبوا الراجل في حاله. دي أقل حاجة ممكن نعملها عشان نكفر عن الذنب ده".

وقفت مكاني، بصيت للعدسة المقفولة في ركن الأوضة، وبعدين بصيت لحازم. في اللحظة دي، مخي بدأ يحسبها بسرعة. لو طلعت اعتذرت.. لو قلت للناس إني كدبت عليهم وإني بنشر معلومات من غير ما أتأكد.. هبقى أنا الخاين. صورة الملاك البريء والمصلح الاجتماعي هتتكسر ميت حتة. الملايين اللي بيسقفولي دلوقتي، هما

نفسهم اللي هيقطعوني بسكاكين التعليقات. شركات الرعاية هتسحب عقودها، وهخسر كل اللي بنيته في لحظة اعتراف واحدة.

سحبت دراعي من إيد حازم ببطء.

لا." قلتها بصوت واطي بس حاسم".

حازم برقلي ومش مصدق ودانه: "نعم؟ لا إيه؟ إنت اتجننت؟ بقولك الراجل بيتدمر بسببنا"!

لفيت ضهري لحازم وبصيت من شباك المكتب على العربيات اللي ماشية تحت: "لو طلعنا اعتذرنا، إحنا اللي هندمر يا حازم. الجماهير دي مابترحمش، لو شافوا بطلهم بيغلط، هيدوسوا عليه من غير تفكير. أنا مش هضحي بكل اللي وصلتله عشان غلطة غير مقصودة".

غلطة غير مقصودة؟" حازم كان بيزعق ودموعه في عينه من " القهر، "دي حياة بني آدم يا معدوم الضمير! دي عيلة بتتشرد! هتقدر تنام بالليل إزاي وإنت عارف إنك خربت بيته؟"

هينسوا!" لفيت وبصيتله بنظرة قاسية أنا نفسي استغربتها، " يومين تلاتة وموجة الغضب دي هتعدي. هيطلع موضوع جديد"

يشغلهم والناس هتنسى الصيدلي وهتنسى العامل اللي مات أصلاً. هو مجرد ضحية في السكة، تمن صغير لازم يندفع عشان رسالتنا الكبيرة تكمل".

حازم هز راسه ببطء، بيبصلي كأنه بيبص لمسخ، لحيوان مفترس ميعرفوش: "رسالة إيه؟ إنت مصدق القرف اللي بتقوله ده؟ إنت مبقاش فيك حاجة نظيفة. أنا مش هكمل معاك في القذارة دي".

خد شنطته ومفاتيح عربيته وخرج من الأوضة ورزع الباب وراه بكل قوته.

قعدت لوحدي في الأوضة. الهدوء كان مرعب. مسكت تليفوني، وبصيت تاني على وش الراجل الصيدلي وهو بيبكي في البث المباشر. رفعت صباعي، وبحركة سريعة.. قفلت الشاشة، وقلبت التليفون على وشه عشان ماشوفش ملامحه.

شربت بق من الشاي، كان برد وبقى طعمه مر.. مر زي الروح اللي بقت ساكنة جوايا. أول ضحية وقعت، والدم لزق في إيدي، بس العجيب، إن بعد الدقايق الأولى من الصدمة، اكتشفت إني قادر أتعايش مع الإحساس ده عادي جداً

بعد ما حازم مشي ورزع الباب وراه، الأوضة بقت هادية جداً. الهدوء ده كان المفروض يخنقني، يخليني أراجع نفسي أو حتى أحس بتأنيب الضمير، بس العكس هو اللي حصل. بصيت للكرسي

الفاضي بتاعه وابتسمت ابتسامة باردة. حازم كان عامل زي حتة الطوبة اللي مربوطة في رجلي وبتشدني لتحت بحجة المبادئ والضمير والأخلاق. دلوقتي بس، أنا بقيت حر.

قمت ظبطت إضاءة الأوضة بنفسي. وقفت قدام عدسة التصوير، ومن غير أي ورق مكتوب ولا تجهيز مسبق، دوست على زرار التسجيل. المرة دي مكنتش بمثل، المرة دي أنا كنت مصدق إني نبي العصر الجديد. اتكلمت بنبرة هادية مليانة ثقة عن "التضحيات اللازمة" عشان الحق يظهر. مذكرتش اسم الصيدلي الغلبان طبعاً، ولا جبت سيرة الحادثة بشكل مباشر، بس قلت كلام كبير عن إن أي معركة لتنظيف المجتمع لازم يكون فيها ضحايا، وإن المهم هو الهدف الكبير والمصلحة العامة. قفلت التسجيل، ورفعت المقطع على الشبكات.

في ظرف ساعات، التعليقات كانت بتنزل زي المطر. "إنت حكيم يا ابني"، "كلامك ده بيكتب بماء الدهب"، "إحنا وراك وفي ضهرك ومصدقينك". كل إعجاب وكل مشاركة وكل تعليق كان عامل زي حقنة غرور بتضرب في عروقي وبتكبر الوهم في دماغي. بقيت أقرأ التعليقات وأنا حاطط رجل على رجل، وشايف نفسي فوقهم كلهم. أنا اللي بخليهم يزعلوا، وأنا اللي بخليهم يفرحوا. أنا محرك العرايس اللي بيلعب بعقول ملايين من ورا شاشة صغيرة.

تاني يوم، نزلت الشارع. بمجرد ما خطيت بره باب العمارة، الناس اتلمت عليا. راجل كبير بجلابية مسك إيدي وباسها وهو بيبكي

وبيقولي: "إنت اللي بتجيب حقنا يا ابني، ربنا يجعلك في كل خطوة سلامة ويحفظك للغلابة". ست بسيطة شالت بنتها الصغيرة عشان تسلم عليا وكأني ولي من أولياء الله الصالحين.

في اللحظة دي، الإحساس بالذنب اللي كان بيراودني ناحية الصيدلي اللي بيته اتخرب اتبخر تماماً. إزاي أكون غلطان وكل الناس دي بتعبدني كده؟ أكيد أنا صح، حتى لو دمرت حياة واحد بالخطأ، أنا بسعد ملايين وبديهم أمل. أنا صوت الحق اللي مبيسكتش.

مكتب العمل بتاعي اتغير. طردت طيف حازم من المكان، وعينت مكانه تلات شباب صغيرين لسه متخرجين. مفيش بينهم واحد بيفتح بقه ولا بيعترض على أي حاجة. شغلتهم الوحيدة يقطعوا المشاهد، يظبطوا الألوان، ويكتبوا العناوين المستفزة اللي أنا بمليها عليهم. "حاضر يا أستاذ"، "أوامرك يا باشا".. دي الكلمات الوحيدة اللي مسموح تتقال في الأوضة دي دلوقتي. بقيت أنا القائد الأوحد، الديكتاتور اللي بيحكم إمبراطورية من الوهم مفيهاش مساحة لأي رأي تاني.

بالليل، وقفت في بلكونة شقتي الجديدة اللي في الدور العشرين. بصيت للعربيات والناس في الشارع تحت كأنهم نمل صغير بيتحرك من غير هدف. سحبت نفس عميق من سيجارتي الغالية وطلعت الدخان في الهوا البارد. أنا مش مجرد بياع كلام بياكل عيش، أنا بقيت المتحكم في اللعبة، بكلمة مني أرفع سابع سما، وبكلمة أنزل سابع أرض.

مرض جنون العظمة اتملك مني بالكامل، ومبقتش شايف غير نفسي في المراية.. الوش الملاك اللي بيخفي وراه وحش ملوش شبع، وحش مستعد يدوس على أي حد عشان يفضل متربع على العرش في زمن العجايب

كنت قاعد على العرش بتاعي، عرش مبني من الإعجابات والتعليقات والمشاركات. كل يوم بصحى الصبح أطمن على الأرقام، وأشوف الناس بتبوس إيدي إزاي في الرسايل. كنت فاكر إن اللعبة دي بتاعتي لوحدي، وإني قفلتها ومفيش حد يقدر يهد الكيان اللي بنيته.

لحد ما جه اليوم اللي حسيت فيه بزلزال خفيف تحت رجلي.

نزلت مقطع جديد، مقطع متعوب عليه، إضاءة درامية، ونص مكتوب بعناية بيعزف على وتر المشاكل الزوجية والتضحية. قعدت ساعتين مستني العداد يضرب زي ما أنا متعود.. بس الأرقام كانت بطيئة. بطيئة بشكل يخوف. التعليقات مش بنفس الحماس، والمشاركات لا تذكر.

مسكت تليفوني بعصبية، وفتحت قايمة المواضيع الأكثر تداولاً على الشبكات عشان أشوف إيه المصيبة اللي واكلة الجو من المقطع بتاعي. لقيت عنوان واحد مكتسح كل حاجة، عنوان اسمه "صندوق الأسرار".

فضولي قتلني، دوست على العنوان، وفتحلي بث مباشر لشاب أصغر مني بكام سنة. وشه رفيع، وعينه فيها جراءة وقاحة غريبة. الأوضة اللي بيصور فيها كانت ضلمة كحل، مفيش غير كشاف نور واحد ضارب في وشه من تحت، مخلي ملامحه حادة ومرعبة. الشاب ده مكنش بيلعب على وتر الحزن والمواعظ زيي، الشاب ده كان بيلعب على وتر الفضايح.

الناس اللي عاملة فيها مصلحين اجتماعيين وبيبيعولكم المثاليات، " دول أكتر ناس جيوبهم مليانة من وجعكم!" الشاب كان بيزعق في العدسة وصوته فيه حشرجة مقصودة عشان يبان منفعل بجد. "أنا هنا مش عشان أطبطب عليكم، أنا هنا عشان أفتح صندوق الأسرار، الصندوق اللي بيفضح كل المتاجرين بدموعكم"!

حسيت بنغزة في قلبي. الكلام ده متوجه لمين؟ كملت فرجة وأنا حابس أنفاسي.

الشاب طلع ورق من درج مكتبه، ورفعه قدام الكاميرا، وكمل زعيق: "بيطلعوا يعيطوا على الشاشات عشان الغلابة، وتاني يوم بيعملوا إعلانات لأعشاب تخسيس مضروبة بتجيب أمراض، عشان يقبضوا تمن ضميرهم اللي مات! بس أنا مش هسكت، أنا هفضحهم بالاسم وبالدليل"!

الدم غلي في عروقي. ضربت إيدي على المكتب بكل قوتي لحد ما فنجان القهوة اتقلب. الواد ده بيقصدني أنا! بيلمح للإعلان اللي عملته من فترة. التعليقات في البث المباشر بتاعه كانت زي النار، الناس بتشتم في "المصلحين المزيفين"، وفي ناس بدأت تكتب اسمي في التعليقات وتقول "يقصد فلان.. فلان ده أكبر كداب".

رفعت راسي وبصيت للعيال التلاتة اللي شغالين معايا، كانوا واقفين ورا شاشاتهم مرعوبين ومحدش فيهم قادر ينطق كلمة.

إنتوا بهايم؟" زعقت فيهم بصوت هز حيطان الأوضة، "إزاي حتة " عيل زي ده يطلع يسحب مننا السجادة وإنتوا قاعدين تتفرجوا؟ إزاي الموجة دي تضربنا من غير ما حد فيكم يبلغني؟"

واحد فيهم بلع ريقه ورد بصوت بيترعش: "يا أستاذ.. المقطع بتاعه انتشر في الساعتين اللي فاتوا بس.. طريقته هجومية والناس بتحب اللي يكشف المستور. هو بيلعب نفس اللعبة بتاعتك، بس بشراسة أكتر، وبدون أي خطوط حمرا".

قفلت الشاشة ورميت التليفون على المكتب. الإله اللي جوايا اتجرح. الغرور اللي ركبني الفترة اللي فاتت عماني وخلاني أفتكر إني لوحدي في الساحة، ونسيت إن زي ما أنا عرفت شفرة اللعبة، في غيري ممكن يعرفها، وممكن يطورها كمان. الشاب بتاع "صندوق الأسرار" ده لقى الطريقة اللي يدوس بيها عليا؛ هو بيمثل دور

البطل المتمرد اللي بيكشف الفساد، ومفيش فساد أسهل من إنه يفضح بطل مزيف زيي.

مشيت في الأوضة رايح جاي، أفكاري بتضرب في بعضها. لو سكت، العيل ده هيكبر على قفايا وهياخد جمهوري والشركات هتروحله. ولو طلعت رديت عليه، هبقى بكبره وبديله قيمة، وهأكد للناس إن الكلام اللي قاله عليا صح.

وقفت قدام المراية، وبصيت لوشي اللي كان مليان غضب وحقد حقيقي المرة دي، مش غضب مصطنع قدام الكاميرات. العيل ده فتح عليا باب جهنم، وميعرفش إنه بيلاعب شيطان.

لفيت للعيال اللي واقفين، وصوتي المرة دي كان هادي، هدوء يسبق العاصفة: "سيبكم من المواعظ والمقاطع الحزينة دلوقتي. أنا عايزكم تقلبوا في الدفاتر القديمة، تدوروا ورا الواد ده، تجيبولي ماضيه، صوره، أي زلة لسان ليه. الواد ده قرر يلعب في الساحة بتاعتي، وأنا هعلمه إزاي الساحة دي بتدفن اللي بيحاول يتطاول على أسياده".

الحرب بدأت، وفي زمن العجايب، مفيش مكان للشرف في الحروب. اللي هيضرب تحت الحزام أسرع، هو اللي هيعيش

الساعة كانت تلاتة الفجر. الأوضة مضلمة مفيش فيها غير نور الشاشات اللي ضارب في وشوش العيال التلاتة اللي شغالين معايا. دخان السجاير كان مالي المكان كأنه ضباب بيخنق أي ذرة إنسانية ممكن تكون لسه باقية في المكان ده.

"سألت بصوت واطي بس فيه فحيح تعبان مسمم "لقيتوا حاجة؟.

واحد فيهم لف كرسيه، عينه حمرا من قلة النوم ووشه دبلان: "يا باشا الواد ده مقفل على نفسه جامد، ملوش زلات كتير، بس بعد تدوير وتنقيب في دفاتره القديمة، لقينا مقطع ليه من خمس سنين. كان قاعد قعدة صحاب، وبيهزر وبيقلد شخصية مشهورة بطريقة فيها استهزاء شوية.. بس المقطع جودته وحشة ومحدش شافه خالص".

ابتسمت ابتسامة شيطانية، حسيت إن روحي رجعتلي. "حلو أوي.. ده كنز. هات المقطع ده، واقطع الحتة اللي بيضحك فيها بخبث، وركب عليها عنوان يخليه يبان كأنه بيستهزأ بثوابت الناس وبمشاعرهم بجد. خليه يبان كأنه متكبر ومغرور. بس ده لوحده مش كفاية.. أنا عايزه يتدمر، مش بس يتشتم. أنا عايز أخليه يمشي يكلم نفسه في الشارع".

مسكت تليفوني، وطلبت رقم متسجل عندي باسم "شوقي لجان". شوقي ده راجل شغلته في الحياة إنه يملك جيوش من الحسابات

الوهمية، مكنة شغالة في الضلمة، لجان إلكترونية جاهزة ترفعك سابع سما أو تخسف بيك الأرض بمكالمة واحدة وتحويل بنكي.

"أهلا ببطل الشاشات.. أوامرك؟" شوقي رد بصوته التخين الخشن.

عندي شغلانة تخلص الليلة يا شوقي. واد طالع جديد مسمي نفسه " صندوق الأسرار. عايزه يصحى الصبح يلاقي نفسه منبوذ. عايز وسم باسمه يكون الأكثر تداولاً في البلد كلها، بس كله شتايم وتخوين. وعايز المقطع اللي هبعتهولك ده ينتشر زي النار في الهشيم، واللجان بتاعتك تكتب إنه بيقبض من جهات مشبوهة عشان يوقع الرموز المحترمة اللي زيي."

شوقي ضحك ضحكة خليعة: "الرموز اللي هو إنت يعني؟ غالي والطلب رخيص، بس الحسبة هتبقى تقيلة شوية المرة دي، الواد جمهوره بيكبر وعنده ناس بتدافع عنه."

اكتب الرقم اللي يعجبك، المهم يتنسف من على وش المنصات " تماماً."

قفلت السكة. بصيت للعيال واديتهم إشارة يبدأوا ينشروا المقطع المتفبرك من حسابات مجهولة، عشان شوقي ورجالته يلقطوه ويكبروه.

قعدت على كرسيي، حطيت رجل على رجل، وبدأت أراقب الشاشات. في خلال ساعة واحدة، المكنة اشتغلت. آلاف الحسابات الوهمية اللي ملهاش صور ولا أسماء حقيقية، نزلت زي الجراد على صفحات الشاب ده. الهجوم كان كاسح، عامل زي الطوفان اللي بياخد في وشه أي حاجة.

الصبح طلع، ومسك التليفون. الشاب بتاع "صندوق الأسرار" طلع في بث مباشر، بس المرة دي مكنش بيزعق ولا بيهاجم ولا عينه فيها الجراءة بتاعة امبارح. كان طالع يدافع عن نفسه. وشه كان شاحب، وعينه فيها رعب حقيقي.

يا جماعة المقطع ده متقطع من سياقه! ده كان هزار قديم ملوش " علاقة باللي بعمله دلوقتي.. في حملة ممنهجة بتتعمل عليا عشان "!مبكتش على الغلط وبكشف المزورين

لكن صوته كان ضايع وسط طوفان التعليقات. جيش شوقي مكنش مديله فرصة يتنفس. "يا عميل"، "يا منافق"، "إنت بتتمسخر على "الثوابت؟"، "إحنا كنا مخدوعين فيك وطلعت إنت اللي مزيف.

كل محاولة منه عشان يشرح، كانت بتترد عليه بعشر شتايم. شفت في عينه نفس الكسرة اللي شفتها في عين الصيدلي الغلبان قبل كده، بس المرة دي، أنا مكنتش حاسس بأي ذنب، ولا حتى نغزة في

قلبي. المرة دي أنا كنت حاسس بنشوة الانتصار. أنا دست على راس التعبان قبل ما يكبر ويعضني.

شربت قهوتي ببرود، وفتحت صفحتي وكتبت منشور جديد، كله حكمة ووقار، وكأني شيخ طريقة: "في ناس بتظهر فجأة عشان تهدم القيم وتشكك في النوايا الطيبة، بس وعي الناس دايماً بيكون هو حائط الصد المنيع. ربنا يحفظنا من شر الفتن، ويفضل دايماً صوت الحق هو الأعلى".

المنشور جاب مئات الآلاف من الإعجابات في دقايق. الناس اللي كانت بتشتم في المنافس بتاعي من شوية، رجعتلي تبوس إيدي من تاني وتعتبرني الحصن المنيع بتاعهم والقدوة اللي مفيش منها اتنين.

الضربة اللي تحت الحزام دايماً بتوجع وتكسر الضهر، بس في عالمنا ده، القوانين اتكتبت عشان تتداس بالأحذية. لو معندكش أنياب، هتتاكل حتة حتة وتترمي للكلاب. وأنا.. أنا ركبتلي أنياب من حديد مابتسميش على حد

الغرور لما بيسوق، بيعمي العين عن الحفرة اللي قدام الرجلين.

بعد ما خلصت على الواد بتاع "صندوق الأسرار" ومسحت بكرامته الأرض، حسيت إني مش بس ملك الساحة، أنا حسيت إني إله المنصات دي. مفيش حد يقدر يمسني، ومفيش كلمة تتقال غير اللي

أنا أسمح بيها. قررت إني لازم أحتفل بالانتصار ده، بس بطريقتي.. طريقة الملاك المتسامح اللي بيعطف على أعدائه.

قلت للعيال اللي شغالين معايا يجهزوا معدات التصوير عشان هطلع في بث مباشر. الأرقام كانت في السما، وملايين مستنيين يشوفوا رد فعلي بعد الهجوم اللي حصل عليا والانتصار الكاسح اللي اللجان بتاعتي حققته.

قعدت على كرسي المكتب، لبست قميص أبيض بسيط عشان أبين إني راجل متواضع وقلبي أبيض، ووشوشت لواحد من العيال: "أول ما أرفع إيدي، تبدأ البث".

رفعت إيدي.. اللمبة الحمرا نورت.

رسمت على وشي ابتسامة هادية، فيها حزن نبيل وتسامح مصطنع، وبدأت أتكلم بصوت دافي:

"أهلي وناسي.. عيلتي الكبيرة اللي دايماً في ضهري. أنا طالع النهاردة مش عشان أرد على أي إساءة، ولا عشان أشمت في حد. طالع أقولكم إني مسامح. مسامح أي حد حاول يغلط فيا أو يشوه صورتي. الشاب اللي طلع هاجمني امبارح، أنا بدعيله ربنا يهديه وينور بصيرته. إحنا هنا عشان نبني، مش عشان نهد. محبتكم دي هي ثروتي الحقيقية، وهي الدرع اللي بيحميني من أي حقد".

بصيت لعداد المشاهدات اللي كان بيعدي الاتنين مليون مشاهد في اللحظة دي، والتعليقات كانت زي السيل مابتقفش؛ قلوب، ودعوات، وناس بتوصفني بأعظم الأوصاف.

قفلت كلامي بدمعة خفيفة لمعت في عيني، وابتسامة رضا: "تصبحوا على ألف خير، وربنا يديمكم نعمة في حياتي.. في رعاية الله."

بصيت للولد اللي واقف ورا الشاشة، وعملتله حركة بإيدي الاتنين بمعنى "اقفل". الولد داس على الزرار، ولف وشه عشان يكلم زميله.

في اللحظة دي.. العضلة اللي كانت شادة وشي على الابتسامة الملاكي ارتخت. ملامحي رجعت لطبيعتها القاسية، وضحكت بصوت عالي، ضحكة كلها استهزاء وغرور.

رميت ضهري لورا على الكرسي وحطيت رجلي على المكتب، وقلت بصوت عالي وواضح:

" يا ولاد اللذينة.. القطيع بلع الطعم زي العادة! والله العظيم أنا لو بعتلهم الهوا في ازايز هيشتروه وهما بيبوسوا إيدي."

مسكت التليفون بتاعي ورميته على المكتب قدام العيال وأنا بضحك بهيستيريا: "شفتوا البهايم بيكتبوا إيه؟ 'ربنا يحفظك يا نقي يا طاهر'.. طاهر مين يا شوية مغفلين! أنا بلم ملايين من ورا سذاجتكم "!دي.. إنت يا زفت منك ليه

شورت لواحد من العيال بإيدي: "كلم شوقي بتاع اللجان، خليه يكمل تقطيع في الواد التاني لحد ما يخليه يمشي يكلم نفسه في الشارع. وقوله الحوالة البنكية هتوصله الصبح بدري، الشغل اللي عمله ".امبارح يستاهل وزنه دهب، مسحلي الواد من على وش الدنيا

سكتت لحظة عشان أخد نفسي من الضحك، ورفعت عيني أبص .للعيال

المنظر كان مرعب. التلاتة كانوا متجمدين في مكانهم، كأن حد دلق عليهم ماية متلجة. الولد اللي كان المفروض قفل البث، وشه كان أبيض زي الشمع، وعينه مفتوحة على آخرها ومثبتة على الشاشة اللي قدامه، وإيده بتترعش بشكل هيستيري وهو بيحاول يدوس .على لوحة المفاتيح والبرنامج معلق معاه

في إيه يا ابني مالك واقف كده كأنك شفت عفريت؟" سألته وأنا " .بنزل رجلي من على المكتب

الولد رفع عينه ليا، وصوته طالع كأنه بيطلع في الروح: "يا أستاذ.. البرنامج هنج.. الزرار معلق.."

"عقدت حواجبي ومش فاهم: "يعني إيه معلق؟

يعني.. يعني إحنا لسه على الهوا! لاقط الصوت شغال، والعدسة " شغالة.. الناس سمعت كل حاجة!"

الكلمة نزلت على دماغي زي حتة حديد سخنة. قمت من مكاني زي الملسوع، الكرسي وقع ورايا. جريت على الشاشة اللي قدام الولد.

اللمبة الحمرا كانت لسه منورة. البث المباشر لسه شغال.

لكن الأسوأ من اللمبة الحمرا، كان شريط التعليقات.

السيل بتاع القلوب والدعوات وقف تماماً.. وتحول لساحة إعدام.

"إنت بتقول إيه؟ قطيع؟"

"لجان إيه اللي بتدفعالها فلوس؟ إنت طلعت نصاب؟"

"حسبي الله ونعم الوكيل فيك، إنت شيطان!"

"بيشتمنا وبيضحك علينا يا جماعة، الصنم وقع!"

"فضح نفسه بنفسه، اللهم لا شماتة."

عيوني كانت بتجري على التعليقات ومش مصدق. أكتر من اتنين مليون بني آدم شافوني وسمعوني وأنا بقلع القناع، شافوا الوش الحقيقي القبيح اللي كنت مداريه سنين.

مديت إيدي بكل قوتي وشديت الفيشة بتاعة جهاز الكمبيوتر كله من الحيطة. الشاشات كلها اسودت، والأوضة ضلمت، بس الضلمة الحقيقية مكنتش في الأوضة، الضلمة الحقيقية نزلت على قلبي وعلى مستقبلي.

وقفت في نص الأوضة، بنهج كأني كنت بجري مسافة طويلة. العيال التلاتة كانوا باصينلي بخوف ومحدش قادر ينطق. التليفون بتاعي اللي على المكتب بدأ يرن، وبعدها إشعارات رسايل ورا بعض زي طلقات الرصاص.

القصة انتهت. الكدبة اللي كبرتها ورضعتها من دمي السنين اللي فاتت، دبحني بيها لساني في كسر من الثانية. الغلطة اللي ملهاش رجوع حصلت، والسحر اتقلب على الساحر، والمرة دي.. مفيش أي موجة هتقدر تنقذني من الغرق

(5)

التليفون مابطلش رن كأنه جرس إنذار في سفينة بتغرق. الشاشات المطيفة قدامي كانت بتعكس ضل وشي اللي بهت وبقى لون الرماد.

العيال التلاتة واقفين متسمرين في أماكنهم، ومحدش فيهم قادر ياخد نفس عالي حتى.

بره!" صرخت فيهم بأعلى صوت عندي، حنجرتي كانت هتتشرخ " من الزعيق. "كلكم تطلعوا بره الأوضة دي ومشوفش وش حد فيكم!"

العيال جريوا على الباب كأنهم بيهربوا من حريقة. قفلت الباب وراهم بالمفتاح، وسندت ضهري عليه ونزلت على الأرض لحد ما قعدت ومسكت راسي بين إيديا. رنة التليفون كانت بتخرم ودني. بصيت على الشاشة، كان اسم مدير أكبر وكالة دعاية متعاقد معاها.

"..رديت وصوتي بيترعش: "ألو.. أيوة يا فندم

إنت مجنون؟" الصوت من الناحية التانية كان زي الكرباج. "إنت " إيه الهباب اللي هببته ده؟ المكاتب عندي مقلوبة، والشركات اللي راعية للمقاطع بتاعتك بتبعتلي إنذارات بفسخ العقود وطلب تعويضات بملايين! إنت دمرت اسمك ودمرتنا معاك!"

يا فندم اسمعني.. دي غلطة.. الجهاز علق ومقفلش البث.. أنا " هصلح كل حاجة.."

قاطعني بزعيق: "تصلح إيه؟ إنت شتمت الناس ووصفتهم بالقطيع! واعترفت إنك مأجر لجان عشان تدمر منافسينك! الترقيع مش هينفع المرة دي. قدامك للصبح تلاقي مخرج للمصيبة دي، وإلا المحامين بتوعي هيكونوا عندك بيحجزوا على كل مليم حيلتك".

السكة اتقفلت في وشي. رميت التليفون على السجادة، وقمت أجر رجلي لحد الكرسي. فكر.. فكر يا غبي! إزاي تطلع من الحفرة دي؟ في عالمنا ده، دايماً في باب خلفي للهروب، دايماً في كدبة أكبر ممكن تغطي على الكدبة القديمة.

سحبت التليفون تاني، وطلبت رقم "سالم". سالم ده ثعلب، راجل شغلته في الحياة إنه يغسل سمعة المشاهير ويطفي الحرايق على الشبكات. راجل ملوش في المبادئ، ليه في المخارج وبس.

"كنت مستني مكالمتك،" سالم رد بهدوء مستفز.

"سالم، أنا بغرق. إنت شفت اللي حصل؟"

"شفت المأساة. إنت لبست في حيطة سد، والقطيع اللي كنت بتضحك عليه قام عليك وبيسنن السكاكين".

"إعمل أي حاجة، ادفع أي مبلغ، بس طلعني منها!" قلتها وأنا بعرق من كل حتة في جسمي.

سالم سكت ثواني، وبعدين اتكلم ببرود: "مفيش غير حل واحد. الترقيعة الوحيدة اللي ممكن الناس تبلعها في الزمن ده. هنرميها على التكنولوجيا".

تكنولوجيا إيه؟" سألته وأنا مش فاهم".

الذكاء الاصطناعي.. برامج تقليد الأصوات وتركيب الوشوش. " هنطلع ببيان رسمي، ونقول إن المقطع ده مفبرك. إن أعداء النجاح، والناس اللي إنت كشفت فسادهم، أخدوا مقطع ليك وإنت بتقفل البث، وركبوا عليه كلام إنت عمرك ما قلته بصوت متقلد بالبرامج دي عشان يدمروا مصداقيتك. دي التلكيكة السحرية دلوقتي، أي حد بيتفضح بيقولك ده ذكاء اصطناعي وفبركة".

الفكرة لمعت في دماغي. أيوة! الناس بتخاف من التكنولوجيا دي وممكن تصدق إن في عصابة استهدفتني.

حلو أوي يا سالم! أنا هقوم أسجل مقطع دلوقتي حالا وأقول " الكلمتين دول".

استنى،" سالم حذرني، "المقطع لازم يكون احترافي، وشك يكون " مجهد، حزين، ومكسور. حسسهم إنك ضحية مؤامرة قذرة. وشغل لجان شوقي بأقصى طاقة عشان يروجوا لكلمة "فبركة" في كل التعليقات".

قفلت مع سالم. قمت غسلت وشي بماية ساقعة، ونكشت شعري عشان أبان متبهدل، وفتحت كشاف إضاءة واحد بس عشان يدي جو كئيب. وقفت قدام العدسة، ودوست تسجيل.

"بدأت أتكلم أهلي وناسي.. أنا طالع دلوقتي وأنا قلبي مكسور." بنبرة فيها رعشة تمثيلية متقنة. "أنا بتعرض لأكبر حملة تشويه في حياتي. المقطع اللي منتشر ليا ده مفبرك بالكامل. عصابات الشر استخدمت برامج الذكاء الاصطناعي عشان يقلدوا صوتي ويركبوا كلام على لساني أنا عمري ما أقوله. إنتوا عارفيني، وعارفين أخلاقي.. تفتكروا أنا ممكن أقول على أهلي وناسي قطيع؟ ده تمن وقوفي في وش الغلط".

خلصت التسجيل، ونشرت المقطع فوراً، وكلمت شوقي عشان يسلط جيوشه تنشر قصة الفبركة. قعدت على الكرسي، وحطيت إيدي على قلبي، مستني السحر يشتغل ومستني الرقعة تداري الفضيحة.

ساعة.. ساعتين.. تلاتة.

العداد بيزيد، بس النتيجة مكنتش زي ما سالم خطط خالص.

فتحت التعليقات، ولقيت الطوفان الحقيقي. الناس مبقتش ساذجة زي ما كنت متخيل. الجمهور اللي كنت بستخف بعقله، قرر يعريني لحد العضم.

مهندسين صوت وصناع محتوى محترفين، نزلوا مقاطع بيحللوا فيها البث المباشر بتاعي. جابوا برامج بتكشف التزييف، وأثبتوا بالأدلة القاطعة، حركة الشفايف، النفس، وانعكاس النور، إن المقطع حقيقي مليون في المية ومفيش فيه ذرة فبركة.

واحد من أكبر الخبراء نزل مقطع مدته خمس دقايق، بيشرح فيه إزاي كدبتي دي أوقح من الغلطة نفسها. وكتب عنوان: "لما الصنم يقع، وبيحاول يلزق نفسه بصمغ مغشوش".

حتى لجان شوقي مقدرتش تصد. الهجوم البشري الحقيقي كان كاسح، بلع الحسابات الوهمية ومسحها من على وش الشبكات. الرقعة اللي حاولنا نخيطها، دابت والفتق وسع أكتر وبقى فضيحة بجلاجل.

الشركة الراعية نزلت بيان رسمي على صفحتها بفسخ التعاقد معايا وبراءتها من أي كلمة قلتها. وأرقام المتابعين عندي بدأت تنزل بالآلاف كل دقيقة.. العداد اللي كان بيفرحني، بقى بينزف.

سندت راسي على المكتب الخشب البارد. محاولة الترقيع فشلت، والمسرحية خلصت، والستارة بتنزل على رقبتي مش على المسرح

النهاية مابتيجيش في ليلة وضحاها، النهاية بتبدأ لما تفتكر إنك أذكى من كل اللي حواليك، وإنك مسكت الدنيا من خناقها.

كنت قاعد في مكتبي الضلمة، باصص لشاشة التليفون اللي نورها كان بيوجع عيني. العداد اللي كان زمان بيفرحني وهو بيزيد، بقى دلوقتي عامل زي عداد القنبلة اللي بتنفجر في وشي بالبطيء. الأرقام بتنزل، المتابعين بيهربوا، والرسايل كلها شتايم ودعاوي تقطم الضهر.

وفجأة، وسط طوفان الإشعارات، ظهر إشعار واحد خلاني أكتم نفسي. إشعار من حساب كنت نسيته، حساب قديم ظهر فجأة في قائمة الأكثر تداولاً.

"الاسم: "حازم".

"عنوان المقطع: "الكدبة الكاملة.. من مطبخ الوهم".

إيدي اترعشت وأنا بدوس على المقطع. الشاشة فتحت، وظهر حازم. وشه كان مرهق، دقنه طويلة شوية، بس عينه كانت بتلمع بثقة وراحة ضمير مشفتهاش فيه من زمان. كان قاعد في أوضة بسيطة، ووراه سبورة بيضا متشعلق عليها ورق كتير.

مساء الخير،" حازم بدأ يتكلم بصوت هادي وثابت. "أنا اسمي " حازم.. للناس اللي متعرفنيش، أنا كنت المخرج، ومصمم الصور، وكاتب الورق بتاع الشخص اللي إنتوا مصدومين فيه النهاردة. أنا الجندي المجهول اللي كان بيطبخ الكدبة، وبيغلفها، عشان تتقدم ليكم ".على طبق من دهب

قلبي وقع في رجلي. حسيت إن الأوضة بتلف بيا. حازم مكملش ثواني وراح مطلع ملف مليان ورق من جنبه ورماه على المكتب .قدام العدسة

أنا شفت المقطع الأخير اللي بيتحجج فيه إن صوته متقلد ببرامج " الذكاء الاصطناعي،" حازم ضحك ضحكة وجع، "ولأن دي كانت مهنتي، ولأني أنا اللي صنعته حتة حتة، كان لازم أطلع أقول الكلمة اللي كاتمة على نفسي من شهور.. الذكاء الاصطناعي بريء منه، ".ده غباء وطمع بشري مية في المية

.حازم مد إيده وشغل شاشة تانية جنبه في المقطع

عشان تصدقوا إن كلامه كله تمثيل في تمثيل، بصوا على المقطع " ده.. ده مقطع من الكواليس ممسوح من زمان، بس أنا دايماً بحتفظ ".بنسخة احتياطية من شغلي

الشاشة الصغيرة جوه المقطع اشتغلت، وظهرت صورتي.. صورتي وأنا بعيط في أول مقطع عملناه خالص بتاع العيلة اللي اتظلمت. المقطع شغال، لحد ما قلت جملتي المؤثرة، وبعدين فجأة.. ملامحي اتغيرت، مسحت دمعتي، وضحكت وسمعت صوتي وأنا بقول لحازم: "إيه رأيك يا حازم؟ المشهد الأخير ده هيجيب كام مشاركة؟... الجمهور مابيفهمش.. الجمهور بياكل بقلبه".

حطيت إيدي على بوقي بكتم صرخة مكتومة. حازم صورني وإحنا في الكواليس! حازم احتفظ بكل قذارتي وسجلها عليا!

المقطع بتاع حازم كمل. طلع عقد الرعاية بتاع أعشاب التخسيس المضروبة وقربه من العدسة، مبين فيه توقيعي والفلوس اللي استلمتها.

ده العقد اللي مضاه عشان يبيع لكم الوهم، وهو عارف إن المنتج " بيجيب أمراض،" حازم كان بيتكلم بحرقة، "ولما الناس بدأت تكشف المنتج، ركب موجة حادثة العامل الغلبان عشان يغطي على فضيحته. كل دمعة شفتوها، كل انفعال، كل صرخة حق.. كانت متسعرة ومكتوبة في الورق ده".

حازم مسك الورق اللي كان متعلق وراه، وبدأ يقرأ منه العناوين والنصوص اللي كنا بنألفها عشان نلعب بمشاعر الناس. كل كلمة قالها كانت زي مسمار بيدق في نعشي.

أنا مش طالع أعمل بطل،" حازم قالها في آخر المقطع وعينه "
مدمعة، "أنا طالع أعتذر. أعتذر لنفسي إني بعت ضميري في يوم
من الأيام وشاركت في المهزلة دي، وأعتذر للصيدلي الغلبان اللي
بيته اتخرب بسببنا وإحنا مرضناش نصلح غلطتنا عشان الغرور كان
عامينا. الصنم اللي إنتوا زعلانين إنه وقع، مكنش صنم من
".الأساس، ده كان شوية طين إحنا اللي شكلناه.. والسلام عليكم

المقطع خلص. الشاشة اسودت، بس في خلال دقايق، المقطع ده
كان بيلف البلد كلها. الصفحات، القنوات، الناس في الشوارع.. الكل
بيشارك مقطع حازم. الدليل القاطع، الضربة القاضية اللي جت من
.أقرب حد ليا

السحر اتقلب على الساحر بحق وحقيق. الأسلحة اللي كنت
بستخدمها عشان أدمر بيها غيري، حازم استخدمها عشان ينسفني
من جذوري. اللجان الوهمية اللي أجرتها عشان تدافع عني،
مقدرتش تقف دقيقة واحدة قدام الحقيقة الواضحة ورا ورق حازم
.ومقاطعه المتسربة

قمت من على الأرض بصعوبة، ركبي مكنتش شيلاني. بصيت في
المراية اللي في نص الأوضة. الوش الوسيم اللي كان بياكل عقل
الناس، بقى وش مرعوب، شاحب، وعجوز. القناع انكسر مية حتة،
.ومفيش أي لزق في الدنيا هيعرف يجمعه تاني

التليفون رن تاني، بس المرة دي مكنش راعي ولا شركة إعلانات.. المرة دي كان رقم المحامي بتاعي. رديت وأنا حاسس إن روحي بتنسحب مني.

لم هدومك،" المحامي قالها بصوت ناشف، "في بلاغات بتتقدم " فيك دلوقتي بتهمة النصب والاحتيال وتضليل الرأي العام، والصيدلي رفع قضية تعويض ورد شرف.. إنت محتاج معجزة عشان متنامش في الحجز النهاردة".

السكة قفلت، والخط قطع. الأوضة لفت بيا، ووقعت على ركبتي قدام المراية، ببص لبقايا البطل المزيف اللي عاش على عجايب الزمن، ومات بيها

قفلت السكة مع المحامي، والتليفون وقع من إيدي على الأرض كأنه حتة جمرة نار بتحرق صوابعي. الأوضة اللي كانت من ساعات بس مركز قيادة الإمبراطورية بتاعتي، بقت عاملة زي القبر المكتوم. ريحة الخوف بقت مالية المكان، ومفيش صوت غير صوت أنفاسي السريعة المقطوعة.

زي المذبوح اللي بيفرفر ومطارد لعنته، مديت إيدي المرتعشة وفتحت شاشة من الشاشات اللي قدامي. كنت عارف إني هشوف دمار، بس اللي شفته كان أبشع من أي كابوس ممكن أتخيله.

المنصات كلها بلا استثناء كانت عاملة محكمة علنية، وأنا المتهم الوحيد المربوط في عمود النور في نص الميدان، والكل بيحدفني بالطوب.

الوسم الأول والأكثر تداولاً في البلد كلها كان باسمي، ومكتوب جنبه كلمات زي "النصاب"، "بياع الوهم"، و"سقوط الصنم". دخلت على الوسم، ولقيت الناس بتبدع في تقطيع لحمي. دي مش مجرد شتايم عادية، دي حفلة إعدام جماعية مفيهاش ذرة رحمة.

مقاطعي القديمة، اللي كنت بنزل فيها دموع مصطنعة وأتكلم عن المبادئ، الناس قصوها وركبوا عليها مزيكا بتاعة بلياتشو في سيرك، وصوت ضحكات ساخرة. الصور اللي كنت بتصورها وأنا باصص للأرض بتواضع، اتعمل منها صور ساخرة ومكتوب عليها """أكبر كداب في البلد".

بس اللي كان بيوجع بجد، اللي كان بيدبحني زي السكينة التلمة، هي التعليقات بتاعة الناس البسيطة. الناس اللي كانت بتصدقني بجد.

قريت تعليق لست كبيرة كاتبة: "أنا كنت بدعيلك في صلاتي أكتر ما بدعي لولادي.. حسبي الله ونعم الوكيل فيك، كرهتنا في الكلمة الحلوة وخليتنا نشك في كل الناس".

وشاب تاني كاتب: "إحنا اللي طلعنا قطيع وبهايم بجد عشان عملنا لواحد زيك قيمة.. بس زي ما رفعناك لسابع سما، هندوس عليك بجزمنا وننزلك لسابع أرض".

محكمة مفيهاش محامي يدافع عني، ومفيش قاضي أطلب منه الرأفة. الجمهور هو القاضي والجلاد في نفس الوقت. حاولت أكتب أي حاجة، أعمل منشور أستعطفهم فيه، بس إيدي اتجمدت على لوحة المفاتيح. أقولهم إيه؟ أقولهم إني كنت بضحك عليكم عشان ألم فلوس الرعاة؟ ما حازم خلاص فضح كل الورق وكشف كواليس المطبخ القذر اللي كنا بنطبخ فيه السم ونسقيهولهم على إنه شربات.

الشاشات كانت بتعكس وشي، وش واحد خسران كل حاجة. الأرقام عمالة تنزل بالآلاف كل دقيقة. جيش المتابعين اللي كنت بتباها بيه بيتبخر قدام عيني. الشركات بتنزل بيانات ورا بيانات بتتبرأ مني وتعلن مقاطعتها ليا، وكأنهم لقوا كبش فداء يغسلوا بيه إيديهم، مع إنهم كانوا شركا في الجريمة وكانوا بيكسبوا من ورايا ملايين.

فجأة، وسط حالة الشلل دي، جرس باب الشقة رن.

صوت الجرس ضرب في ودني زي طلقة الرصاص. قمت وقفت مكاني ومتحركتش. الجرس رن تاني.. وتالت.. وبعدها خبط جامد على الباب كأن حد بيحاول يكسره.

"!افتح الباب! إحنا عارفين إنك جوه"

صوت رجالي خشن وجاي من وراه دوشة وهرجلة. سحبت رجلي بالعافية لحد باب الشقة، وبصيت من العين السحرية.

المنظر كان مرعب. السلم كان مليان ناس، شباب من اللي كانوا بيعملولي إعجابات ومشاركات، شكلهم عرفوا عنوان شقتي الجديدة من تسريبات المنصات. وشوشهم كلها غضب، واحد فيهم ماسك تليفونه وبيصور الباب وباصص لعدسته وبيزعق: "إحنا قدام بيت النصاب.. البياع اللي شتمنا واستخف بعقولنا، مستنيينه يخرج عشان نعلمه الأدب!"

الواقع المرعب كسر شاشة التليفون وطلعلي بره في الشارع. الغضب مبقاش مجرد حروف بتنكتب في تعليقات، الغضب بقى ناس من لحم ودم واقفين على بابي وعايزين يفتكوني.

رجعت لورا بظهري لحد ما خبطت في الحيطة، واتزحلقت لحد ما قعدت على الأرض، حاطط إيدي على ودني عشان أمنع صوت الخبط والشتيمة اللي جاية من بره.

محكمة المنصات حكمت عليا بالإعدام المعنوي، بس يبدو إن التنفيذ هيكون على أرض الواقع، والمرة دي.. مفيش زرار أقدر أدوس

عليه عشان أوقف التسجيل وأنهي المشهد. المشهد ده حقيقي، والنهاية.. النهاية شكلها هتكون أقسى من كل العجايب اللي ألفتها

(6)

الخبط على الباب كان بيزيد لدرجة إن خشب الباب نفسه بدأ يطق ويطلع صوت تزييق مرعب. قلبي كان بيدق بسرعة لدرجة إني حسيته هيشق صدري ويطلع بره. الناس بره مابقتش بتخبط بس، دول بدأوا يكسروا في الكالون.

"!اطلع يا جبان! اطلع ورينا وشك يا بياع الكلام"

صوتهم كان عامل زي ديابة جعانة لقيت فريستها محبوسة في قفص. بصيت حواليا في الشقة الواسعة الفخمة اللي كنت بعتبرها قلعتي المنيعة، لقيتها فجأة اتحولت لسجن ضيق خنقة.

جريت على أوضة النوم وأنا بتكعبل في السجاد الغالي، فتحت درج المكتب وسحبت شنطة صغيرة، رميت فيها شوية فلوس نقدية كانت موجودة، بطاقتي، ومفاتيح العربية. عقلي كان شغال بأقصى سرعة، لازم أهرب، لو الباب ده اتكسر، الناس دي مش هترحم، هيمسحوا بكرامتي بلاط العمارة.

افتكرت باب المطبخ الخلفي، الباب اللي بيفتح على سلم الطوارئ بتاع العمال والخدم. عمري ما استخدمته ولا حتى فتحته قبل كده.

جريت على المطبخ، إيدي كانت بتترعش وأنا بلف المفتاح في الكالون المصدي شوية. الباب اتفتح بصعوبة وطلع تزييقة خفيفة خلت الدم يهرب من عروقي، بس الدوشة والزعيق اللي على الباب الرئيسي غطت على الصوت.

خرجت وقفت على بسطة السلم الضلمة، وقفلت الباب ورايا بالراحة. ريحة التراب والكمكمة ضربت في مناخيري. بدأت أنزل السلالم، دور ورا دور. عشرين دور بنزلهم على رجلي في الضلمة، وكل خطوة بنزلها، كنت بحس إني بنزل درجة من مجدي الكداب، بنزل من القمة للقاع بسرعة الصاروخ.. سقوط حر من غير أي مظلة إنقاذ.

النهجان كان هيموتني، وركبي سابت، لحد ما وصلت للجراج تحت العمارة. استخبيت ورا عمود خرسانة كبير وبصيت ناحية عربيتي. كان في تلات شباب واقفين جنبها، بيبصوا في تليفوناتهم وبيشتموا. واحد فيهم تف على إزاز العربية وضرب الكاوتش برجله.

عرفت إن طريق العربية مقفول. لو شافوني، هيعملوا عليا حفلة في الجراج ومحدش هيلحقني.

سحبت نفسي في الضلمة، وماشي جنب الحيطة زي الحرامي، لحد ما لقيت مخرج جانبي بيودي على حارة سد ورا العمارة. طلعت للشارع، الجو كان تلج، بس أنا كنت غرقان في عرقي. رفعت ياقة

الجاكيت بتاعي، ولفيت كوفية صوف حوالين رقبتي ورفعتها لحد مناخيري عشان أداري نص وشي.

الوش الوسيم اللي كنت بدفع ألوفات عشان أنوره في المقاطع والناس تشوفه وتتغزل فيه، بقيت دلوقتي بدفع عمري كله عشان أداريه ومحدش يلمحه. مفارقة توجع القلب وتكسر النفس.

مشيت في الشوارع من غير أي وجهة. كل ما أشوف مجموعة شباب ماشيين، أو حد ماسك تليفون وبيبصلي، أوطي راسي وأسرع خطوتي، كأني مجرم هربان من العدالة. الحقيقة إني كنت مجرم فعلاً، مجرم سرق عقول الناس ومشاعرهم.

بعد ساعتين مشي متواصل، حيلي انهد. لقيت نفسي في منطقة شعبية بعيدة جداً عن مكاني. الشوارع هادية والناس نايمة. قعدت على رصيف مكسور جنب كشك مقفول. طلعت تليفوني من جيبي. الشاشة نورت، الإشعارات كانت عاملة زي شلال دم. رسايل تهديد، قضايا بتترفع، شتائم من كل لون، ورسالة من المحامي بتاعي كاتبلي فيها: "حساباتك في البنوك اتجمدت بقرار من النيابة لحد ما التحقيقات تخلص، سلم نفسك الصبح بدري، الهروب هيعقد الموقف".

ضحكت ضحكة ناشفة طالعة من حلق مجروح. حساباتي اتجمدت. الإمبراطورية اللي بنيتها على جثث ومشاعر الناس انهارت في أقل من أربع وعشرين ساعة.

بصيت للتليفون اللي في إيدي. حتة الحديدة دي كانت هي العصاية السحرية بتاعتي، هي اللي خلتني إله، وهي اللي خلتني حشرة بتزحف في الضلمة على رصيف مكسور. مسكت التليفون بكل القوة اللي باقية في إيدي، وضربته في الرصيف اللي قاعد عليه. الشاشة اتكسرت ميت حتة والنور بتاعها انطفى للأبد.

قطعت آخر خيط بيربطني بالعالم اللي صنعني ودمرني. رميت راسي بين ركبتي في عز البرد والضلمة، وسبت نفسي للدموع.. بس المرة دي، دموع حقيقية جداً، دموع ملهاش عدسة بتصورها، ولا موسيقى حزينة في الخلفية، ولا جمهور هيسقفلها ويعملها مشاركة. دموع السقوط الحر في زمن العجايب

الليل بدأ ينسحب ببطء، والجو كان تلج. قمت من على الرصيف، حاسس إن عضمي كله متكسر. مشيت وأنا بجر رجلي في الشوارع اللي بدأت تنور بنور الفجر الباهت. لقيت محطة بنزين قديمة ومتهالكة على طريق فاضي. دخلت الحمام بتاعها، كان ريحته بشعة، واللمبة اللي فيه بترعش كأنها بتطلع في الروح.

وقفت قدام الحوض المكسور، ورفعت عيني للمراية اللي نصها مشروخ ومغطية بطبقة تراب.

بصيت لنفسي.. دي أول مرة من سنين أبص لوشي الحقيقي من غير حلقة النور المدورة اللي كانت بتضرب في عيني، ومن غير برامج التجميل وتعديل الألوان اللي كانت بتداري أي عيب. بصيت للشاب اللي واقف قدامي، حسيت إني مش عارفه. مين ده؟

افتكرت بداياتي خالص، الأيام اللي كنت بقعد فيها بالساعات أرسم شعار القناة بتاعتي بإيدي، وأختار الألوان، وأكتب الوصف بتاع الكيان اللي كنت بحلم أبنيه. كنت فاكر إني بصنع لنفسي اسم ومكانة، بس الحقيقة إني كنت بمسح ملامحي خطوة بخطوة. كل كدبة كنت بقولها كانت بتاخد حتة من روحي، وكل مرة كنت بمثل فيها الفضيلة، كنت بشوه جزء من حقيقتي، لحد ما بقيت مجرد مسخ. وش بلا ملامح، عجينة طرية بتتشكل على حسب مزاج الناس اللي بتتفرج.

حاولت أبتسم.. الابتسامة التجارية بتاعتي اللي كانت بتجيب ملايين الإعجابات. رفعت زوايا بوقي قدام المراية المشروخة، بس المنظر كان مرعب. كنت شبه البلياتشو الحزين، ابتسامة كدابة على وش شاحب وعيون مطفية وملياتة رعب. الابتسامة اللي كانت بتسحر الناس، بقت دلوقتي بتخوفني أنا شخصياً.

فتحت الحنفية، المايه نزلت ساقعة تلج. غسلت وشي مرة واتنين وتلاتة، كأني بحاول أغسل الذنوب والكدب اللي لزق على جلدي.

بس المايـة مابتمسحش العار. المايـة بتفوقك بس عشان تشوف خيبتك بوضوح أكتر.

سندت راسي على المراية الساقعة، وغمضت عيني. سمعت صوت دقات قلبي البطيئة. في اللحظة دي، أدركت الحقيقة المرة؛ أنا عمري ما كنت بطل، ولا حتى شرير ذكي. أنا كنت مجرد عروسة خشب مربوطة بخيوط، المنصات هي اللي بتحركني، والغرور هو اللي بيشد الخيط، ولما الخيوط اتقطعت، العروسة وقعت واتكسرت ومبقاش ليها أي تمن.

حازم كان صح.. الصيدلي كان صح.. الناس اللي شتمتني وكسرت بابي كانت صح. أنا بعت نفسي رخيص أوي في سوق الوهم.

طلعت من الحمام، الهوا الساقع خبط في وشي المبلول. بصيت للسما اللي بدأت تنور، وخدت نفس عميق لأول مرة من غير ما أفكر في شكل صدري وهو بيتحرك قدام العدسة. مفيش تمثيل تاني، مفيش كلام مترتب تاني. السقوط وصل لآخره، وأنا خبطت في قاع الأرض.

حطيت إيدي في جيبي، طلعت مفاتيح العربية ورميتها في الشارع.. مبقتش تلزمني. مشيت بخطوات تقيلة بس فيها استسلام مريح، استسلام الميت لقدره. سألت عامل البنزينة اللي كان لسه صاحي من النوم عن أقرب قسم شرطة، وشاورتله بإيدي من غير ما أنطق.

الوجه اللي كان بيمتلك ناصية الكلام وبيخطب في الملايين، مبقاش عنده ولا كلمة واحدة يقولها.

كملت مشي في الشارع الطويل، رايح أسلم نفسي، رايح أدفع فاتورة العجايب اللي أنا نفسي خلقتها، وأنا عارف ومتأكد إن بمجرد ما باب الحجز يتقفل عليا، الدوامة مش هتقف.. الناس هتدور على بطل مزيف جديد، وتسقفله، وترفعه لعرش الوهم من تاني

صوت باب الحديد بتاع التخشيبة وهو بيتقفل ورايا كان ليه رنة غريبة.. رنة نهاية حاسمة مفيهاش رجوع. قعدت على بطانية خشنة في ركن الزنزانة الضلمة، ساند ضهري على الحيطة الساقعة.
مفيش هنا شاشات، مفيش كشافات إضاءة، ومفيش عداد بيحسب كام واحد بيسقفلني. لأول مرة من سنين، الأوضة اللي أنا فيها هادية بجد.

في الأيام الأولى ليا في الحجز، كنت لسه عايش في الوهم. كنت مستني إن الناس تفتكرني، إن جمهوري يطالب بمسامحتي، أو حتى يفضلوا يشتموا فيا.. المهم يفضلوا فاكريني. بس مع مرور الأسابيع، زارني المحامي بتاعي وقال لي جملة دمرت آخر حصن من حصون غروري: "الناس نسيتك.. في قصة جديدة طلعت والشبكات كلها مقلوبة عليها، محدش بقى يجيب سيرتك أصلاً".

نسيوني. ببساطة كده. ملايين المشاهدات، والدموع، والتعليقات، اتبخرت كأنها مكنتش. أدركت وقتها الحقيقة المرة؛ مهما حاولت

أبني قلاع من الكدب، ومهما لبست وشوش مثالية، في النهاية..
مكنتش كفاية. مكنتش كفاية عشان أخفي السواد اللي جوايا،
.ومكنتش كفاية عشان أضحك على الزمن وتناقضاته للأبد

(بعد ست شهور - بره أسوار السجن)

في أوضة تصوير تانية، في مكان تاني خالص في العاصمة. شاب لسه في أول العشرينات، ملامحه وسيمة وعينه فيها لمعة الطموح اللي بياكل الأخضر واليابس. كان واقف بيظبط ياقة قميصه قدام .المراية، وبيرسم على وشه تعبير مليان حزن وغضب مكتوم

وراه على الحيطة، يافطة متصممة بخط عريض ومكتوب عليها اسم ."برنامجه الجديد: "النقاش الأخير

الشاب قعد على الكرسي الجلد، وبص لعدسة التصوير كأنها حبيبته اللي بيشكلها على مزاجه. رفع إيده لشاب تاني قاعد ورا الشاشات في الضلمة: "ظبطت الإضاءة الهادية؟ عايز النور يرمي ضل خفيف ".على وشي عشان أبين قد إيه أنا شايل هم الجيل ده

الشاب اللي ورا الشاشات رد وهو بيكتب بسرعة على لوحة المفاتيح: "كله جاهز يا ريس.. لاقط الصوت شغال، والعدسة بتسجل، والنص المكتوب على الشاشة قدامك. هندخل في الموضوع

على طول ونضرب في المصلحين المزيفين اللي بيضحكوا على الناس، دي الموجة اللي واكلة الجو دلوقتي."

الشاب الأولاني ابتسم ابتسامة صفرا، وبعدين خد نفس عميق، وغمض عينه ثانية واحدة. لما فتحها، كانت عينه مدمعة، وملامحه كلها انكسار ومثالية.

"اللمبة الحمرا نورت.. ابدأ."

الشاب بص للعدسة، وبصوت مليان شجن بدأ يتكلم: "إحنا عايشين في غابة.. الناس بتبيع ضميرها عشان حفنة فلوس ومشاركات وهمية. بس إحنا هنا في النقاش الأخير، هنكشف كل ده.. لأن الحق دايماً صوته أعلى، والناس البسيطة تستاهل حد يدافع عنها بجد..."

سكت ثانيتين، ساب الدمعة تنزل على خده ببطء شديد، وبعدين رفع إيده ومسحها بسرعة كأنه بيحاول يداري ضعفه قدام الناس.

أفصل التسجيل!" قالها الشاب وهو بيضحك بصوت عالي، " وملامح الحزن اتبخرت في الهوا. لفت كرسيه وبص لصاحبه: "إيه رأيك؟ الأداء ده هيجيب كام مليون مشاهدة النهاردة؟ القطيع بيعشق دور البطل المكسور اللي بيحارب الفساد."

صاحبه ضحك وهو بيجهز المقطع عشان ينشره: "هيكسر الدنيا.. إحنا لقينا الخلطة السحرية".

بره الأوضة دي، كان في ملايين ماسكين تليفوناتهم، بيقلبوا في الشاشات، مستنيين البطل الجديد اللي هيعيطوا معاه، ويصدقوه، ويرفعوه لسابع سما.. لحد ما يجي اليوم اللي يوقعوه فيه من تاني.

العجلة مابتقفش، والموجة بتسلم موجة، والمسرحية مستمرة مابتخلصش أبدًا.. في زمن العجايب.